منظمة الطليعة العربية في تونـــس



دراسات في العقيدة العربية الثورية

الإنسان والثورة والتنظيم

منشورات الطليعة

1985

الطليعة
منشورات منظمة الطليعة العربية في تونس

الإنسان والتنظيم والثورة

منشورات الطليعة العربية في تونس

لقد أثبتت التجربة النضالية للامة العربية ـ فى تاريخها المعاصر ـ العديد من التحولات الفكرية ، والسياسية ، واعطتها ـ من خلال الممارسة ـ ابعادها ، فاكتسبت كل مقومات ـ الحتمية ـ التى تعطى لتلك التحولات كل ملامح التجسيد واستمراريته علىَ ارضية الواقع ـ وضمن الظروف الموضوعية المنبثقة عنه ..

فالواقع بكل « التناقضات » التى يحملها والتى كرست فيه « التجزئة » و « التخلف » بفعل الظروف المتفاعلة فى الواقع العربى ـ ضمن اطار النمو المتزايد للنفوذ الاستعمارى في المنطقة ، قد ولد الاستعمار من خلال تكريس المصالح الاقتصاديه ، والسياسيه ـ لبعض القوى الاجتماعية فى الوطن العربى ، ولد العديد من « الظواهر الرجعية » التى أعطت ـ بتفاعلها مع الحركة الاستعماريه ـ مصلحة ووجودا ـ للواقع العربى السمات المجسدة للتجزئه . والتخلف متمثله فى « الكيانات السياسية » والهياكل الاقتصادية ، والاجتماعية ...

فانبثقت ـ من خلال ذلك كله ـ قوى اجتماعية ، اتسمت حركتها السياسيه . والاقتصادية والاجتماعيه والثقافية ، بسمة التحرك المضاد لسياق التارخ . الامر الذى جعل من هذه « القوى » تقف موقفا مضادا لحركة الجماهير العريضة ، والتى تمثل بمعطيات حركتها « الحتمية التاريخية » مجسدة كل الطموح التقدمى ، الذى يفترض تجاوز الواقع

بكل التناقضات المتفاعلة فيه ـ من تجزئة وتخلف ـ وصولا الى خلق « واقع جديد » يحمل معطياته المعاصرة الحضارية المتسمة « بالتقدمية » والتى تنقل المجتمع العربى من حالة « الهامشية الحضارية » التى يعايشها ضمن مضامين « العجز الاقليمى » ، الى حالة « الفعل الحضارى » التى يجب أن يخوضها الانسان العربى فاعلا ومؤثرا فى مسارات العطاء الحضارى الانسانى أو معطيا للعطاء الانسانى كل جهده الخلاق ، وفق مردودات أصالته .

ضمن معطيات الواقع العربى ، حدد الانسان العربى مساراته المستقبلية من خلال « الرفض والاختيار » .

● فرفض معطيات الواقع العربى .. والمتمثلة في « التجزئة والتخلف » والقوى الاجتماعية المرتبطة ـ وجودا ومصلحة ـ بالحركة الامبريالية العالمية .

● واختار ضمن معطيات الطموح المستقبلى للانسان العربى .. والمتمثلة فى تجاوز حركة الواقع الاقليمى المتخلف ـ لبناء واقع تقدمى يعطى للانسان كل مقومات الموضوعية لبناء واقع تقدمى افضل .

تحددت بذلك « الرفض » وذلك « الاختيار » هوية الصراع الآنى والمستقبلى فى الواقع العربى بكل تناقضاته ـ محددة على أرضية الحتمية التاريخية ـ المستمدة من عمق التجربه الانسانية في التاريخ ـ والتى اعطت لادوات حسم التناقض بعدها العقائدى .. والحركى .. حتى أمست هذه الادوات . تشكل ـ موضوعيا ـ كل آفاق « الحتمية » فى الواقع الانسانى .. وقد تمثلت في « الانسان ...والتنظيم .. والثورة »..

وقد توجهت كل « النظريات العقائدية » ، لتقنين حركة الانسان فى اتجاه تغير واقعه وصولا الى خلق واقع جديد ، يعطى لحركته مضمونها الافضل .. ولكنها جميعها سقطت لانها ارادت أن تضع هذه « الحركة » ضمن « قوالب فكرية » تجمد حركة الانسان ضمن معطياتها .. الفكرية .. والحركية ، دون أن تضع فى اعتبارها أن « الانسان » بفعله الارادى قادر على تجاوز كل « القوالب الفكرية » والغائها .. وقد نجح الانسان في اثبات حريته فى « حرية الاختيار » و « حرية الحركة » . ـ تجربة انسان العالم الثالث ـ الذى رفض الاختيارات الفكرية والحركية التى أريد بها

« تعليب » تجربته الذاتية ضمن معطيات هذه النظرية .. أو تلك . واضعا « بفعله الارادى » على أرض واقعه معيارا يستمد منه « الآفاق النظرية » التى تنبثق من الواقع لترشيد حركة الانسان الآنية والمستقبلية من اجل « تغيير » واقعه ، ورسم اطار مستقبله ، لتكون تلك الآفاق النظرية ــ متمثلة فى انصهار الفعل الارادى « التجربه » مع الواقع المعاش ، ومحصلة لتفاعلهما ــ تطبيقا للمقولة الناصرية .. « لقد كان أعظم الملامح في تجربتنا الفكرية ، والروحية ، اننا لم ننهمك فى النظريات بحثا عن حياتنا »..

وقد حدد « الانسان » فى العالم « الرأسمالى » اختياراته الفكرية .. والعلمية ضمن خصوصية « تجربته التاريخية المتميزة » بتكامل « النظرية الليبرالية » كاختيار ينبثق من عمق التاريخ الوسيط والحديث « فى أوروبا » متخذا من هذا الاختيار مضمونا تتشكل حياته ضمن معطياته السياسية والاقتصادية ، والاجتماعية والثقافية ، بحيث تعطى هذه المعطيات للمجتمعات « الاوروبية » الاسس « الفلسفية » التى تحدد موقع الانسان من عملية التطور الانسانى ..

وقد أعطت الخلفية التاريخية ــ للنظرية الليبرالية ــ الاساس لان تكون هى المضمون الفلسفى الذى يشكل حياة الانسان وفق معاييرها ، دون أن تضع هذه النظريه لنفسها اطارا من « المرونة » تعطيها القدرة على التكيف مع المعطيات الجديدة التى يفرضها تفاعل ، الفعل الارادى للانسان مع الواقع المتجدد ، الامر الذى جعل من ــ النظرية الليبرالية ــ غير قادرة على التكيف مع متغيرات الواقع الانسانى ــ على الرغم من الاضافات الفكرية والعلمية. التى حاول فلاسفتها اغنائها بها ..

وقد سقطت هذه النظرية على محك التجربة العملية في العالم الثالث ، حيث أسهمت بشكل مباشر أو غير مباشر فى تعاظم حركة الاستعمار ، واستمراريته .. مما أوجد علاقات غير متكافئة بين الانسان المستعمر ، والانسان المستعمر .. تلك العلاقة التى ولدت معادلات غير انسانية ، بين « الانسان » فى العالم المتخلف .. والانسان في العالم المتقدم . بنيت على أساس « الاستغلال » الأمر الذى أسقط « النظرية الليبرالية » فى وهدة التناقض بين المعطيات العقائدية « الايديولوجية » وبين الممارسة العملية « عملية الاستعمار » ففقدت بذلك النظرية الليبرالية كل المضامين الانسانية

والمثالية .. واسقطت تطلعاتها فى ان تكون « نظرية الانسان » أينما كان .. وكيفمـــا كان .

وأمام تعاظم القهر الاجتماعى والاقتصادى للانسان ، بفعل الطبـــقة الراســـمالية ــ فى غرب أوروبا ــ والناتج عن تطبيق النظـــرية الليبرالية ــ وتزايد سيطرتها على أدوات الانتاج ــ ضمن اطار العلاقة الغير متكافئة بين قيمة « العمل الانسانى » وبين « قيمة رأس المال » مما أوجد عـــلاقة استغلال « وتناقض » بين « العامل » « ورب العمل ».. مما أتاح للعديد من المدارس الفـــكرية لان تتلمس الســـبل للخـــروج بالانســـان من قهر « ديكتاتورية الراسمالية » بحثا عن الاسس الفكرية التى « تضع » علاقة جديدة بين العامل كجهد بشرى مبذول « قيمة العمل » وبين رب العمل « قيمة راس المـــال » .

فكانت « النظرية الشيوعية » احدى المخارج الفكرية التى طرحت كبديل « للنظرية الليبرالية » محددة علاقة جديدة ، ومتناقضة مع عـــلاقة « قيمة العمل » وبين « قيمة رأس المال » بمضمون غير مثالى « الصراع الطبقى » الذى يكرس التناقض الاجتمـــاعى بين « قوتين اجتماعيتين » « طبقة البروليتاريا » و « طبقة الراسمالية » بمعطيات الصراع الدموى .. وصولا الى « ديكتاتورية البروليتاريا » بديلاً لديكتاتورية الراسمالية ».. مما جعل من هذه « النظرية » نتاجـــا لرد فعل في عصر الثورة الصـــناعية مما افتقدها كل « مقومات الحتمية » المستمد ــ موضوعيا ــ من عمق التفاعل بين « الفعل الارادى » والواقع المعاش.

وقد ثبت موضوعيا ــ وبالتجربة أن ممارسة « النظرية الشيوعية » على ارضية الواقع ، افتقدها العديد من المقومات الفكرية التى ارتكزت عليها ، وهى « الشمولية الاممية ».. فتحولت عبر عمليات « تطويعها » الى اطار فكرى يستمد مقوماته من « التجـــربة العملية » « كالتجـــربة الروسية « « والتجرة الصينية ».. « والتجربة اليوغسلافية »..

- وبين ديكتاتورية طبقة الراسمالية .. وليدة النظرية الليبرالية .
- وبين ديكتاتورية طبقة البروليتاريا ، وليدة النظرية الشيوعية..

عاش الانسان فى العالم الثالث ــ والعالم ــ مرحلة استلاب فكرى ، تجسد في مصادرة حرية الاختيار الارادى لحل معضلاته الاقتصادية ، والاجتماعية .. فلا النظرية الليبرالية أعطت مردودا انسانيا .. مثاليا ــ كما ادعت ــ متمثلة فى رفاهية الانسان وسعادته .. ولا النظرية المادية « الشيوعية » .. حققت مجتمعها الامى ، الذى يعيد للانسان حرية اختياره الارادى ، الذى شكل مرتكزا لشيوعية النظرية الشيوعية .. التى جاءت للقضاء على كل الاستلابات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية الناتجة عن ممارسه النظرية الراسمالية .

وعلى ذلك فكلا النظريتين .. كرست « الاستلاب » بكل مضامينه فى صورة « ديكتاتورية الطبقة » تلك الديكتاتورية كانت سببا فى خلق وضع اجتماعى بالغ التعقيد ..

- فسيطرة الطبقة الرأسمالية ، استلاب لكل القوى الاجتماعية الفاعلة فى المجتمع.
- وسيطرة الطبقة البروليتارية ، استلاب لكل القوى الاجتماعية الفاعلةبين المجتمع .

الامر الذى جعل من « ظاهرة الاستلاب » ظاهرة تنبثق من ، وعن النظريتين « الشيوعية والليبرالية » مما أوجد علاقات استغلال ولكن من نوع جديد ــ يحمل ملامح النظريتين.

- فسيطرة طبقة الرأسمالية ، يعنى الاستغلال لكل القوى الاجتماعية الاخرى .
- وسيطرة طبقة البروليتاريا ، يعنى الاستغلال لكل القوى الاجتماعية الاخرى .

وانطلاقا من الرفض المبدئى ــ للاستغلال بكل صوره ــ برزت معالم الرفض العقائدى لدى الانسان فى العالم الثالث لكلا النظريتين. كاختيارين محددين لحركته الذاتية .. حيث أنهما افرزتا استغلالا ديكتاتوريا لطبقة .. وهذا يتنافى والتركيب الاجتماعى للعالم الثالث « المتخلف » فلا الراسمالية قادرة من خلال نظامها الاقتصادى « تركيب النظام الاقتصادى الراسمالى » ان تكون محورا لتنمية العالم اثالث بما يحقق له القدرة على الخروج من دائرة التخلف .. لان الراسمالية « آلمحلية » فى بلدان العالم الثالث مرتبطة وجودا ، ومصلحة بالاحتكارات العالمية ، الامر الذى يجعل منها وفي ظل ــ الاختيار

الليبرالى « للراسمالية » أداة من أدوات استمرارية وتعاظم الاستعمار الجديد فى تلك البلدان . وهذا يتعارض والاتجاه التحررى للانسان فى العالم ــ الذى يسعى ومن خلال نضاله الثورى الى التخلص من كل اشكال النفوذ الاستعمارى بشكليه القديم والجديد ..

ولان الرأسمالية « المحلية » فى بلدان العالم الثالث ــ غير قادرة ــ بقدرتها الذاتية ــ على احداث النمو الحقيقى لانسان العالم الثالث ــ لان تركيبها الذاتى وطبيعة علاقتها بالرأسمالية العالمية جعل منها « برجوازية طفيلية » تتجه بحكم هذا التركيب في نشاطاتها الاقتصادية ، على مهام هامشية « راسمالية الخدمات .. وراسمالية السمسرة » . الامر الذى اسقطها فى قبضة الاحتكارات العالمية .. حيث أصبحت ــ بمضامينها وحركتها ــ أداة لتكريس « التخلف » ــ باحداث مزيد من الاستغلال لقدرات الانسان .. مما يؤدى الى تراكم المال لديها ، فتملك القوة الاقتصادية ، وبالتالى تمتلك القوة السياسية ، حيث تتحول بقدراتها الى « سلطة » تتحكم في أدوات الحكم ، كنتاج طبيعى لتحكمها فى قدرات الانسان.. وراس المال ، مما يجعلها توظف هذه « القوة » لخدمة مصالحها ومصالح الاحتكارات العالمية .. فتتحول بحكم هذا الارتباط الى دائرة النفوذ الاستعمارى .

بعد أن تحددت مسارات الانسان فى العالم الثالث فكريا ، ونضاليا ــ من خلال تحدد الاختيارات العقائدية له، والتى انبثقت من تفاعل الفعل الارادى ــ مع الواقع المعاش بكل معطيات التخلف والقهر السياسى والاجتماعى فيه .. وبكل الطموحات السياسية ، والاجتماعية والاقتصادية المتولدة فيه ، والمجسدة لفعله الارادى ، من أجل خلق واقع جديد تزول فيه كل معطيات التخلف .. الامر الذى جعل من الفعل الارادى « الثورة » للانسان فى العالم الثالث ، خصوصية متميزة ، حيث اكتسب مفهوم الثورة فى العالم الثالث. ابعادا انسانية . اكتسبت بعدها الانسانى عن مضمونها « كحاجة انسانية » تكتسب حتميتها من واقع التخلف والقهر الاجتماعى والسياسى المتولد عن حركة الاستعمار .. تحمل هذه « الحتمية » كل ملامح الطموح الانسانى في واقع أفضل .. حيث تستهدف « الثورة » تغيير علاقات « الاستغلال » بين الانسان ، والانسان . ضمن منظور تقدمى متحرر من اشكال التبعية.. وبالتالى فالثورة فى العالم الثالث ــ تمثل ثورة الانسان فهى تقدمية المحتوى .. تحررية الابعاد .. تحمل ملامح الاصالة الانسانية ..

ظلت ظاهرة الاستعمار قديمه وحديثه من أقوى العوامل التى تقف متحدية حركة الشعوب فى العالم الثالث ، وهى تتجه لتحقيق طموحاتها فى بناء مجتمعاتها القومية ، ولقد اتسمت تلك الطموحات بسمات التقدمية في مضمونها وتحددت أدوات تحقيقها فى الفعل الارادى للانسان فى العالم الثالث ، ولقد كانت (الثورة) محصلة للفعل الارادى لشعوب العالم الثالث . بل ولتجعله احدى أدوات الاستلاب الفكرى التي تضمن استمرارية وجودها ، وما يرافق ذلك الوجود من قهر واستغلال واستلاب . حتى أصبحت المجتمعات في العالم الثالث تشكل عبر ـ المسخ العقائدى لشخصيتها ـ نموذجا يعطى للمنظور السياسى والاقتصادى للمجتمعات الراسمالية مما افقد الانسان فى العالم الثالث مقومات أصالته فأصبحت شخصيته بلا هوية .

من هنا كانت الثورة فى العالم الثالث فعلا اراديا يرتكز على الوعي بمتطلبات النضال الثورى المستمرة من اجل تاكيد الهوية القومية لمجتمعات العالم الثالث ، وتجسيد تحررها فى مؤسسات قومية سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية . الامر الذى جعل من الثورة فعلا حضاريا شاملا تتميز بخصوصية الانسان في العالم الثالث ، من حيث :

- نظريته الشمولية فى التغيير وما يتطلبه هذا التغيير من تغيير جذرى لهياكل المجتمع وتغير علاقات الانتاج فيه ، ضمن معايير القضاء على الاستغلال والعمل على تحقيق وفرة فى الانتاج ، وعدالة في التوزيع .

- ونظرته التقدمية حيث أن الثورة فى منظور الانسان فى العالم الثالث ، اداة اقتحام لواقع متخلف تستهدف تغيير ما هو كائن لما يجب ان يكون عليه.

وهكذا ظل صراع الشعوب من أجل تحقيق تحررها القومى ، قوة هائلة لتحديد معطيات التقدم الانسانى لان العالم المعاصر قد قسمته ظاهرة الاستعمار . وعبر تراكم العائد الاقتصادى الناتج عن استلاب الثروات الطبيعية والبشرية فى العالم الثالث ، الى انقسام العالم البشرى من حيث المظهر الحضارى ، الى عالمين منفصلين ومتصلين .

- عالم متقدم في مظهره التقنى ، استخدم تقدمه لاحداث مزيد من السيطرة المباشرة على العالم ، وذلك لتمكين نفوذه السياسى والاقتصادى من استمرار النمو والتواجد .

- عالم متخلف فى مظهره التقنى . استغلته القوى الاستعمارية وذلك باحداث مزيد من التشويه الثقافي والاجتماعى ، والاقتصادى لهوية مجتمعاته القومية . وذلك من اجل ان تشكل هذه المجتمعات امتدادا طبيعيا للمنظور الفلسفى والفكرى للاستعمار .

فكان الصراع أحد مظاهر العصر .

الصراع من أجل تحقيق الهوية القومية لمجتمعات العالم الثالث ، ولتجسيد مضمونها التقدمى المتحرر فى مؤسسات قومية متميزة .

والصراع من أجل اعطاء الهوية القومية مضمونها التقدمى ، وما يتطلبه هذا المضمون من وعى بمقومات الاصالة ، فتحدد الصراع على محورين :

المحور الاول : مواجهة ظاهرة الاستعمار بالكفاح المسلح .

المحور الثانى : مواجهة الاستعمار الثقافى بالثورة الثقافية .

من هنا كانت الثورة فى العالم الثالث فعلا حضاريا وجذريا يستهدف منها الانسان تحقيق وجوده ومضمون هذا الوجود . فهى ثورة تحمل فى رحمها ثورات ثلاث.

- ثورة سياسية تقود الى التحرر السياسى.
- وثورة اقتصادية تقود الى تحقيق وفرة الانتاج وعدالة التوزيع.
- وثورة ثقافية تتجه لتحقيق مضمون شخصية الانسان والمجتمع. ضمن التمايز القومي لمجتمعات العالم الثالث.

لقد حسم العالم الثالث صراعه مع القوى الامبريالية العالمية ، بكل مظاهر سيطرتها . من استعمار مباشر الى استعمار جديد وذلك من خلال تحديد « هوية الصراع » مع تلك القوى وتحديد « أدواته ».

وقد حددت شعوب العالم الثالث هوية الصراع على أنه صراع قومى تستنزف فيه (القوة) ثروات الشعوب التى لا تمتلكها.

من هنا أصبحت القوة تحكم عملية الصراع ، وتحسمه . اما (قوة) السلاح أو (قوة) العقيدة . فكانت الثورة احدى مردودات قوة العقيدة في

العالم الثالث كمظهر من مظاهر مقاومة القوة الامبريالية ووسيلة من وسائل حسم صراع القوة فى العالم بعد الحرب العالميه الثانية. حيث أنتصرت مدرسة الثورة الشعبية المسلحة على كل المدارس السياسية التقليدية ، والتى كانت تعتمد على المناورة السياسية وسيلة لمجابهة القوة الاستعمارية .

ولقد انتصرت تلك المدرسة التقليدية فى الحصول على بعض الانتصارات السياسية ، متوجة تلك الانتصارات باقامة الدولة القومية فى العالم الثالث بعد أن تخلصت من الاستعمار (القديم) ولكنها وفى لحظة الانتصارات ذاتها ـ ارتبطت بشكل أو آخر وضمن تقليدية المناورة السياسية بدائرة الاستعمار الجديد . والتى تحولت فيه القوة الامبرياليه ـ من استعمال (القوة العسكرية) لفرض وجودها الى استعمال (القوة الاقتصادية) لذات الهدف .

فكان الاستعمار الجديد ـ هوية الصراع فى العالم الثالث لمواجهة طموحات شعوبه ، وتمكين الدوائر الاستعمارية من الاستمرار في مصادرة طموحات الشعوب وتقنينها بما يكفل لها السيطرة على المقدرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ـ خاصة بعد أن استعملت المناورة السياسية (لتمليب) انتصارات المدرسه التقليدية فى مواجهتها .

وكان الاستعمار الجديد يشكل مظهرا من مظاهر افلاس المدرسة السياسية التقليدية ، وعجزها عن تحقيق الطموح القومى لشعوب العالم الثالث فكان لا بد أن تتنامى حركة الثورة الشعبية لمواجهة ذلك العجز ، وحتى تنتصر لارادة شعوب العالم الثالث فى تحقيق تحررها السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافي . وذلك بتعميق الوعى بمظاهر الاستعمار الجديد والمتمثلة فى :

- **السيطرة الاقتصادية** : انتاجا وتوزيعا بما يكفل للقوى الاستعمارية من استلاب الثروات الطبيعية والبشرية وضمن معطيات الاحتكار .
- **السيطرة السياسية** : وذلك من خلال توزيع القوى الاجتماعية وايجاد تحالف عضوى ومصلحى بينها وبين قوى الاحتكار العالمية . وتمكين اكثر الفئات الاجتماعية ولاء لتلك القوة من السيطرة على أدوات الحكم والاستمرار فيه .

● **السيطرة الثقافية** : وذلك لمصادرة حرية الشعوب من القدرة على تأصيل ثقافتها وفق خصوصياتها القومية حتى تعيش تلك الشعوب ضمن دائرة الاستلاب الفكرى والثقافى .

ومن تنامى حركة الثورة الشعبية ، ووعيها الموضوعى بقدرات شعوبها على التحرك الثورى ، طرحت الثورة الشعبية المسلحة كأسلوب قادر على حسم الصراع مع الاستعمار الجديد بكل مظاهره . فتميزت الثورة الشعبية المسلحة فى العالم الثالث (ثورة عقائدية) تستهدف تحقيق التحرر الكامل لشعوبها بكل متطلبات التحرر السياسى ومضامينه فكان لا بد أن تتجاوز تلك الثورة معطيات الفكر الماركسى والليبرالى ، متلمسة بتجاوزها ذلك ، معطيات الطريق الثالث في الثورة . والذى تحدد فى اعطاء مفهوم الثورة مفهوما شموليا ، يتسع بشموليته ليعطي للثورة مضامين الثورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، من أجل تجاوز كل أمراض الواقع المتخلف . ورسم طريق محدد وتقدمى نحو التقدم . فكان الانسان والتنظيم أداة من ادوات تجاوز التخلف الى آفاق التقدم.

ولكن ... كيف يستطيع الانسان المتخلف أن يتجاوز أمراض تخلفه ؟

لقد تحددت أدوات المواجهة بين شعوب العالم الثالث وبين كل مظاهر السيطرة الاستعمارية المباشرة وغير المباشرة ، وبذلك تبلورت منطلقات الثورة الشعبية التقدمية ـ كأداة نضالية شاملة ـ باعتبار الثورة فى العالم الثالث ـ (أداة حضارية) ترتكز على الشمولية والجذرية كأساسين لها . حاملة في مضمونها كل المعانى الانسانية التى تهدف الى ارساء علاقات ديمقراطية بين شعوب العالم ، وصولا الى تحقيق عالم بشرى ، يحمل مضامين العدل والاخاء .

ولذلك كانت الثورة كاداة حضارية اسلوبا لمواجهة عنف السيطرة الاستعمارية .

● ففى مواجهة السيطرة الاستعمارية المباشرة بالقوة العسكرية ، كانت الثورة الشعبية المسلحة ، أداة مواجهة العنف بالعنف .

● وفى مواجهة الاستعمار الجديد بكل مظاهر الاستلاب الفكرى والاقتصادى والاجتماعى فيه ، كانت (الثورة العقائدية) أداة لمواجهة ذلك الاستلاب من خلال ممارسة الثورة الثقافية والسياسية والاجتماعية .

- فكانت الثورة العقائدية أداة حضارية لتحقيق التحرر الكامل من كل عوامل الاحتواء السياسى الذى تمارسه الامبريالية الجديدة على شعوب العالم الثالث .

- وكانت الثورة العقائدية بمضمونها الاشتراكى للقضاء على مظاهر الاحتواء الاقتصادى ، والاستغلال الاجتماعى الذى تمارسه قوى الاحتكار العالمى والقوى الاجتماعية المحلية المرتبطة مصلحيا وعضويا بالاحتكارات العالمية .

- وكانت الثورة العقائدية ، بمضمون ثورتها الثقافية تسعى الى القضاء على كل مظاهر الاستلاب الفكرى والثقافى ، ذلك الاستلاب الذى كان يمثل احدى الوسائل لتكريس ونمو الوجود الاستعمارى في العالم الثالث.

بذلك كانت (الثورة العقائديه) فى العالم الثالث كأداة من أدوات النهوض الحضارى ، بكل شموليتها وجذريتها وتشابك معاركها ، وتداخل معطياتها ، حتى أصبحت (الثورة في العالم الثالث) تمثل قانونا حضاريا لانسان العالم المعاصر ، وأداة من ادوات ذلك الانسان لتحقيق انعتاقه الكامل وتحرره الشامل من كل مظاهر السيطرة والاستغلال .

وقد أدرك انسان العالم الثالث ، من خلال تراكم التجربة الثورية الانسانية فى عمق التاريخ ، أن التحرر الكامل ضمن اطار الخصوصية القومية هو الاداة الوحيدة للقضاء على كل مظاهر (التخلف) الذى يعانيه ، سواء أكان تخلفا ماديا أو ثقافيا . وأن بقاء الاستعمار بكل مظاهر (الاحتواء) (والاحتكار) ـ (والاستلاب) ـ يشكل سببا مباشرا في تكريس التخلف الاجتماعى والثقافى والاقتصادى . ومن عمق الوعى بهذا القانون الانسانى ، أدرك الانسان فى العالم الثالث ، انه يمثل من خلال وحدة تطلعاته ، ووحدة توجهاته ، اتجاها نضاليا واحدا مهما تعددت ساحات المواجهة ، حيث اتسمت حركة الانسان فى عالمنا المعاصر بسمتين أساسيتين وضمن معطيات الثورة العقائدية .

- سمة النضال القومى ، الذى يستهدف تحقيق التحرر القومى لكل شعوب العالم ، وصولا الى ارساء علاقات قومية متكافئة ، تستطيع البشرية من خلالها تحقيق التكامل فى ظل التكافؤ . خاصة وان العالم في ظل الثورة العلميه (التقنية) أصبح متشابك العلاقات والمصالح ، وبالتالى فان التقسيم التعسفى لشعوب العالم الى جزئين منفصلين ومتصارعين ،

يقوم الصراع فيهما على أساس المستغل والمستغل . أصبح أداة غير حضارية ، حيث سيستمر الصراع فى ظل ذلك التقسيم التعسفى ، هو عنوان عالمنا المعاصر. ما لم تنجح الثورة العقائدية لانسان العالم الثالث في تحقيق وحدته النضالية ضمن اطار (ثورة اليسار العالمى الجديد).

● وسمة النضال التقدمى (الاشتراكى) والتى تستهدف من خلال ارتباطها بالنضال القومى الى تحقيق مضامين العدل الاجتماعى والنمو الاقتصادى كمصلحة لتحررها السياسي والاقتصادى ، وذلك من خلال ايجاد علاقات اجتماعية تكون الاساس البديل لعلاقات الاستغلال القائمة بين المستغل والمستغل . وهذا لن يتأتى الا باتخاذ المسار الاشتراكى والاختيار القومى منطلقا وغاية ، تحقق من خلاله الشعوب مضامين توجهاتها المستقبلية ، ومضامين نموها الآنية .

فالثورة فى العالم الثالث هى أداة لتجاوز الانسان المتخلف أمراض تخلفه ، وكل مظاهر الاستلاب المكرسة لذلك التخلف ضمن معطيات ثورة اليسار العالمى الجديد .

قوى الثورة العربية .. وحسم الصراع

على الرغم من (التحديات) التى تواجهها حركة الثورة العربية ، وهى تحاول تأطير مسيرتها التاريخية بكل ما تحمله من زخم جماهيرى ومن طموح تقدمى لصنع الغد الافضل للامة العربية .

على الرغم من تلك التحديات التى تنبثق من (المتغيرات) الفكرية والاستراتيجية التى بدأت تبرز كنتاج لحدة الصراع ، بين قوى الثورة العربية ، والقوى المضادة ، ــ تلك المتغيرات التى استهدفت تحقيق أهداف الامبريالية ــ استوعبت القوى المضادة ما أفرزته من متغيرات على أرض الواقع العربى ، واستمرت فى تأطير هذه المتغيرات ضمن تحركها الاستراتيجي والفكرى ، بل وبدأت تعطى لهذه المتغيرات منظورا فكريا ترتكز عليه ، وتستمد منه شرعية التواجد وامكانية الانتصار .

فأبرزت المنظور الليبرالى اللا ثورى واللا قومى ، ليكون بديلا فكريا للمنظور القومى الاشتراكى التقدمى .

وابرزت الاستراتيجية الاقليمية ــ بكل ما تحمله من سمات الاقليمية ــ لتكون بديلا للاستراتيجية القومية ــ والتي تحمل كل سمات العمل القومي ــ من هنا تحددت مجالات الصراع الآنية والمستقبلية بين قوى الثورة العربية والقوى المضادة .

وعلى الرغم من أن الجماهير العربية قد حسمت موضوع الصراع ــ تاريخيا ــ الا أن (الصراع) ظل قائما بين القوتين :

- قوة تحمل مقومات الانتصار فيوما تاريخيا
- وقوة ــ بحكم التطور ــ محكوم عليها بالهزيمة

وعلى الرغم من حسم الصراع بكل مقومات التطور التاريخى الا أن الصراع ظل قائما ، فكريا فى منظوره ، واستراتيجيا فى تطلعاته .

وهذا يتطلب ــ ولكى تدعم قوى الثورة العربية عوامل انتصارها التاريخى ــ تحقيق ما يلى :

أولا : التصدى لكل ما تطرحه قوى (اليمين المتزمت) من منظور فكرى لا ثورى ولا قومى ، بكل أدوات التصدى الفكرية المتاحة لكى يحفر المنظور القومى الثورى التقدمى ، حتى يشكل أساسا عقائديا غير متزعزع ، مهما تعددت المتغيرات .

ثانيا : تأطير حركة الجماهير العربية ضمن أطر حركية قادرة على الاستجابة لكل التحديات ومالكة ــ عبر دراسة التجربة الثورية في الوطن العربى ــ لكل العوامل الايجابية ، والقادرة على دفع حركة الجماهير ، لتحقيق طموحها المستقبلى ، والقادرة على نقل حركة الجماهير من حركة عفوية تلقائية الى حركة محددة ومنظمة .

ثالثا : بناء استراتيجية ثورية تستمد مقوماتها من العمل الثورى المنظم والقادرة عبر رؤاها ، أن تحسم عملية الصراع مع القوى المضادة والاستعمار من جهة ، ووضع المجتمع الأفضل من جهة أخرى .

تلك هى الشروط الموضوعية لدعم انتصارات قوى الثورة العربية ووضعها فى مرحلة تكون أكثر عطاء ، فكريا واستراتيجيا ، لمجابهة واقعها المجزأ المتخلف .

وهذا لن يتأتى الا اذا وعت القوى الثورية فى الوطن العربى مهمات المرحلة ومهمات كل مرحلة ، حتى تتجاوز بهذا الوعى كل ما يشوب حركتها مـن ترسبات اقليمية لا ثورية ولتكون عبر وضوح الهدف القومى اكثر قدرة على الحركة والمناورة . ضمن اطار استراتيجى محدد ، وضمن تأطير جماهيرى قادر على اعطاء اطاراتها الاستراتيجية عمقا نضاليا ، وثوريا ، سيحسـم على المدى البعيد قضية الصراع لصالح قوى الثورة العربية مهما برزت على ساحة الوطن العربى ، من متغيرات أو تحديات .

الجماهير العربية والمتغيرات النضالية

فى ظل تشابك الاحداث وتداخلها ، وفي ظل الصراع الاستراتيجي بين قوى العالم المستهدفة ربط الوطن العربى سياسيا واستراتيجيا بها ، لتستغل كل معطياته السياسية والاقتصاديه ، لبكون في النتاج الاخير ، مرتبطا بتلـك الاستراتيجية دائرا ضمن دائرة نفوذها .. فى ظل ذلك تحددت خريطـة الواقع السياسى فى الوطن العربى ضمن اطارين هما :

● اطار ثورى وحدوى ، يسعى الى تغيير الواقع العربى باعادة تشكيل خريطته السياسية وفق المضمون القومى ، الذى يستهدف ــ من خـلال الثورة الشعبية ــ تحقيق وحدة الامه العربيه ، وتجسيدها فى مؤسسـات سياسيـة ودستوريـة واحـدة .

● اطار اقليمى ، يسعى الى تكريس الواقع اللا طبيعى من خلال اعطـاء الاقليمية مضمونا فكريا ووعاء سياسيا ، تكتسب من خلاله الاقليمية شرعية التواجد السياسى والدستورى ، لتكون الاقليمية بديلا لطموح الجماهـير الوحدوى . ومن تفاعل الصراع بين هذين التيارين : تيار ترفضه الجماهير ويتناقض مع طموحاتها وهى تسعى من خلال نضالها الى اسقاطه . وتيار تدفعه الجماهير بحركتها معه وبه تسعى الى تجسيـده فى واقـع يحقق طموحاتهـا الـوحدوية .

ومن الرفض الجماهيرى للاقليمية ، حقق النضال القومى مجموعـة مـن الحقائق هـى :

اولا : تأكيد الجماهير العربية عمق انتمائها القومى بمضمونه التقـدمى ، ليشكل هذا الانتماء ارضية الحركة الارادية (الثورة) للجماهير .

ثانيا : تأكيد الجماهير العربية على أن النضال الارادى (الثورة) المستند على حركة الجماهير المنطلق بها ومن خلالها . هو الاداة الحقيقية لتغيير الواقع ، من واقع متخلف ومجزأ الى واقع وحدوى متقدم . وهو قانون انسانى ، يستند على الجماهير العريضة ، ويتوجه في محصلته النهائية الى تحقيق غايات الجماهير . فالجماهير أداة الثورة وغايتها .

وفى ظل حركه الجماهير مع الثورة انبثقت في الواقع قوى مضادة لحركة الجماهير ، استهدفت تكريس الاقليمية بكل مؤسساتها المرتبطة بشكل مباشر او غير مباشر بالاحتكارات العالمية واستراتيجيتها المستهدفة تكريس الاقليميه ، وفق الرؤية الموضوعيه لمصالحها المرتبطه عضويا بهـا ـ أى بالاقليمية ـ فأفرزت هذه القوى المضادة ، مسارات سياسية ، حددت واقع التحرك السياسى فى الوطن العربى :

اولا : ضمن الرؤية الاستراتيجية للوطن ، اقتصاديا انبثقت القوى الاقليمية كامتداد طبيعى للشكل الاستعمارى القديم ، مستهدفة ربط هذا الوطن اقتصاديا ـ وضمن ظروف التخلف بالاحتكارات العالمية ـ ليكون الوطن مجال تسويق واستغلال لثرواته البشرية ، والطبيعية ، ومن ثم تكريس التخلف ، بكل مظاهره ومضامينه .

ثانيا : وضمن الرؤية الاستراتيجية للوطن العربى سياسيا ، زرع الكيان الصهيونى ليكون أداة تعطيل لطموح الجماهير الوحدوية ، وأداة استنزاف لمقدراتها تطبيقا للقول : أعطى من لا يملك ، لمن يستحق . وليكون هذا الكيان فاصلا بشريا بين المشرق العربى ، ومغربه .

التقت هذه الخطوط الاستراتيجية مع طموح الاقليميين فى ابقاء الواقع متخلفا ومجزءا ، فشكل هذا الالتقاء أرضية الارتباط العضوى بينهما لتكريس الواقع ضمن سمات هى :

- سمه التمزق الاقليمى ، الذى يكرس التجزئة ، حيث ترتبط فيه ، وضمن مساراته السياسية والاقتصادية ، (الكيانات القزمية) ومن ارتباطها الهامشى بالاحتكارات العالمية ، ارتباطا اقتصاديا ، وسياسيا .
- سمة التخلف الاقتصادى والاجتماعى ، المرتبط بالتجزئة والناتج عنه والذى يعبر عن عجز الاقليمية ، فى احداث التنمية الحقيقية للانسان العربى .

وعبر الزمن النضالى للانسان العربى ، أحدثت القوى المضادة لحركة الجماهير ، مجموعة من المتغيرات استهدفت تعطيل حركة الجماهير التاريخية ، مما أفرز فى الواقع نتائج منها :

اولا : استهدفت قوى الاقليمية احداث مجموعة من الانشقاقات (التنظيمية) في أدوات الثورة العربية ، وصولا الى شق حركة الجماهير ، لتكون هذه الادوات (القزمية تنظيميا) غير قادرة على استقطاب حركة الجماهير وقيادتها ، وبالتالى ، تكريس تجزئة الاداة التنظيمية ، لتكون من خلال هذه التجزئة عاجزة عن بلورة نضال الجماهير . وبالتالى سحب هذا التعدد (التنظيمى) ليفرز تعددا فكريا بحيث تتكامل (التجزئة) التنظيمية (بالتجزئة) الفكرية . لتعبر هذه التجزئة بشكل غير مباشر عن استراتيجية القوى الاقليمية ، المضادة لحركة الجماهير .

ثانيا : استهدفت قوى الاقليمية ، مجموعة من المتغيرات في حركة النضال اليومى للجماهير ، من خلال تكريس واقع التشرذم التنظيمى والفكرى ، على الرغم من ارتكاز قوى الثورة العربية على أرضية الانتماء القومى ، حيث اصبحت (الاقليمية) تمثل الصوت الاعلى فى واقعنا المعاش ، سياسيا . ضمن اطار (وحدة الصف) كنقيض لوحدة الهدف ، الذى كرسته نضالات الجماهير ، والذى عبرت فيه عن مضامين توجهاتها المستقبلية .

من هذه المتغيرات ينبثق ، وبالضرورة ، توجه نضالى للانسان العربى ، يستهدف الانتصار فى حركته ، لكل طموحاته الثورية الوحدوية ، تتمثل فى :

- بلورة الفكر القومى ، ضمن معطيات الاصالة فيه ، وضمن استلهام معطيات العصر . فى اطار نظرى قادر على اعطاء الانتماء القومى ، المضامين العلمية الانسانية .
- تحديد برامج سياسية ونضالية ، تنبثق من رؤية موضوعية لكل طاقات الجماهير ، وقدرتها على العطاء النضالى ، مستهدفة تحدد استراتيجية الثورة العربية ، بكل مراحلها وغاياتها ، لتكون هذه الاستراتيجية هى المعيار الحقيقى لتقييم نضالاتنا .

كل هذه المتغيرات ، تتطلب من قوى الثورة العربية ، الوعى الآنى بواقعها لتستجيب لنداءات الجماهير المتكررة ، ولتنتصر لارادة الجماهير .

الانسان العربى.. وجدار الخوف

نجحت الجماهير العربية على امتداد الوطن العربى فى تاكيد رفضها

للهزيمة ، ذلك الرفض الذى ظل يشكل ارضية تحركها النضالى لتحقيق أهدافها القومية فى تحرير الارض السليبة ، بعد أن استوعبت كل معطيات (الهزيمة) السلبية والايجابية . والتى أرادت بها القوى العربية اللاثورية المتحالفة مع الاستعمار والصهيونية أن تغير ارض الواقع العربى ، وفق رؤاها الاستراتيجية وهى : —

● تغيير خارطة الواقع السياسي العربى من واقع تتحرك فيه الجماهير لفرض ارادتها التحريرية والوحدوية ، الى واقع يسلب الجماهير حرية الحركة ، وحرية الارادة ، مما يربط ذلك الواقع بعجلة النفوذ الاستعمارى.

● تغيير خارطة الواقع السياسى فى الوطن العربى من واقع يرفض الهزيمة ، ويرفض بالتالى الكيان الصهيونى ، الى واقع يكرس هذا الكيان ويتعامل معه كوجود.اعطاه الزمن شرعية الاستمرار .

ولكن الجماهير العربية عبر قيادتها التاريخية نجحت فى تعميق رفضها للهزيمة واستيعاب الشروط الموضوعية لكسر جدار الخوف الذى حاولت حملات التيئيس أن تبنيه بكل أدواتها العسكرية والفكرية ، فكانت الهزيمة تمثل لدى الانسان العربىتحديا جديدا يضاف الى مجموعة التحديات التى تواجه المجتمع العربى بل تشكل الهزيمة محصلة لتلك التحديات ، والتى تنحصر في جدار من الخوف يحجب عن هذا الانسان حقائق وشروط التعامل — موضوعيا — معه ..

كانت الهزيمة لدى الانسان العربى تعبيرا عن (الاقليمية) التى عجزت في تعاملها مع الواقع العربي . وعجزت عن مجابهة تحدياته. فكانت الهزيمة دليلا على افلاس الاقليمية وعجزها ، ومن ثم كانت (الوحدة) لدىالانسان العربى شرطا موضوعيا لتكامل القدرة العربية سياسيا واقتصاديا وعسكريا لمجابهة المسئولية القومية . لتحرير الارض السليبة ، ولتحقيق الانتصار .

● وكانت الهزيمة لدى الانسان العربي تأكيدا لهزيمة (الرجعية) التى حالت دون تحقيق انسانية الانسان العربى ، عبر تحقيق حريته السياسية والاجتماعية : فكانت (الحرية) شرطا موضوعيا لتحقيق الانتصار .

● وكانت الهزيمة لدى الانسان العربى مضمونا (للتخلف) الذى غلف حياة المجتمع العربى على الرغم من كل قدرات الرخاء فيه ، وبالتالى كانت (الاشتراكية) شرطا موضوعيا لتحقيق الرخاء والتقدم بما يحقق كفاية

(الاشتراكية) شرطا موضوعيا لتحقيق الرخاء والتقدم بما يحقق كفاية الانتاج وعدالة التوزيع ، ولتكون القدرة الذاتية العربية سخية العطاء بلا حدود لتحقيق الانتصار ..

استوعب الانسان العربى حقائق الواقع العربى ، وناضل من أجل ان يحقق الشروط الموضوعية للتعامل ثوريا مع هذا الواقع ، فكسر بهذا الاستيعاب جدار الخوف . الذى حاولت القوى (الامبريالية) بناءه .

- فرفض الهزيمة فكرا ..
- ورفض الهزيمة نضالا مسلحا .

فاستوعب عبر هذا (الرفض) كل معطيات الواقع العربى (فعبر) جدار الخوف ليحقق بهذا (العبور) عدة حقائق نضالية هى :

أولا : اكد الانسان العربى هويته القومية متجاوزا بهذا الانتماء كل اشكال الولاءات الاقليمية ، ومؤكدا فى ذات الوقت عمق احساسه بمسئوليته القومية، تجاه الارض السليبة فى فلسطين . فكان تاكيده على عمق انتمائه القومى .

ثانيا : أكد الانسان العربى فى عبوره لجدار الخوف تدرته العقلية والفكرية على التعامل مع معطيات التقنية العسكرية سلاحا واستراتيجية مما اثبت ان الانسان العربى . لا يقل استيعابا لمعطيات الحضارة العالمية عن اى انسان آخر .

- فسقطت الهزيمة بتأكيد القدرة القومية ، على اسقاطها ..
- وسقطت الهزيمة ، بتاكيد قدرة الانسان العربى ، على عبور جدارالخوف

وبعد ...

تتولد المهمات النضالية والاستراتيجيه أمام الانسان العربى ليترجم عبوره جدار الخوف (فى تأطير حركته المستقلة) ، وتتحدد هذه المهام ضمن اختيارين هما :ـ

- اختيار (الثورة) كأداة لعبور الوطن العربى دائرة التجزئة والتخلف، الى تحقيق دولة الوحدة والاشتراكية .. التى تستطيع ـ عبر قدرات الوطن الاقتصادية والبشرية ـ الى بلورة القدرة العربية الذاتية فىمؤسسات قومية سياسية ، واقتصادية تسهم في دعم (تحرير الانسان العربى) من

كل عوامل القهر الاجتماعي ، والسياسي .. وتسهم فى (تحرير الارض العربية)

● اختيار العمل الجماهيرى .. من اجل دفع الجماهير العريضة واقحامها فى العمل الثورى القومى ، لتكون الثورة بالجماهير وللجماهير .. وبالتالى تكون الجماهير اداة تقدمية لاستمراريه الثورة وتعميقها ..

وتنبثق من هذين الاختيارين ملامح الاستراتيجه القومية ، لمجابهة حدة التحديات (الآنية) التى تسهم فى تعميق حدة التناقضات في الوطن العربى .. سواء أكانت تناقضات بين قوى الثورة العربية ، او تناقضات مع قوى الثورة المضادة .. وتتحدد هذه الملامح فى ضرورات نضاليه هى :

اولا : ضرورة وحدة القوى الثوريه (الوحدويه) لمواجه حدة تناقضها مع القوى (الاقليميه) الرجعيه ، التى تحاول ابقاء الوطن العربى ، مجزءا ومتخلفا .. وبالتالى ابقاء الوطن العربى مهزوما ..

ثانيا : ضرورة تحديد (برنامج) فكرى ، واسراتيجى ، تلتقى حوله ، كل القوى الوحدويه فى الوطن العربى ، يشكل أرضيه التفاعل ، وصولا الى بلورة فكرية ، ونضالية ، واسراتيجية لقوى الثورة العربية .

تلك هى مهمات الانسان العربى ، ليخترق جدار الخوف ، بثوريه وايمان.. فالثورة فكر وعلم وعمل .

